المحاضرة الأولى والثانية:

1-تحليل الخطاب :

تحليل الخطاب (discours annalysis) مصطلح جامع ذا استعمالات عديدة ، يشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة : التداولية - السيميائية – اجتماعية – نفسية – أسلوبية ... الخ. إنه في استفاضة دائمة : موضوعا ، مجالا ، علما ، منهجا ، يسعى في اجتماع جزئيتيه اللتان ساهمتا بشكل فعال في تكوينه، إلى تحليل وفك شفرة الخطاب من أجل فهمه، على اختلاف أنواعه : (أدبي / شعري / نثري) ، سياسي، إشهاري ، اجتماعي – نفسي ، تعليمي ، علمي ... الخ . حتى لا نقف عند هذا الأخير(الخطاب) مكتوفي الأيدي و عاجزين لا نملك آليات التحليل ، و لا قدرة على القراءة و التأويل ، باعتباره خطابا متماسكا، غاية في التعقيد و التشابك .

يقول سعيد علوش : " إن وقفة عابرة على نص صيني هيرغليفي ، سانسكريتي لتجعلنا نقف كمحاربين منزوعي الأسلحة ، مدهوشين أمام كنوز ، لا نمتلك مفاتيحها ، و كذلك الأمر أمام نوتات موسيقية ، وضعت بين يدي رسام ، أو إشارة أبكم إلى أعمى " [1] أمام مثل هذه المقولة ، نتساءل: ماذا نريد بتحليل الخطاب ؟

أ – **الخطاب** : لم يكن هذا المصطلح أوفر حظا من مصطلحات كثيرة علمية لسانية ، نقدية معاصرة ، على المستويين : المصطلح – المفهوم ؛ فقد حضي بتعريفات متعددة ، بتعدد التخصصات و زوايا الرؤيا ؛ إذ هو المصطلح الذي نشعر بابتعادنا عن كنهه ، كلما حاولنا الاقتراب منه و تعريفه ، لذلك يقول مشال فوكو (micheal voco) ": " بدل أن أقلص تدريجيا من معنى كلمة خطاب (discours) و ما لها من اضطراب و تقلب أعتقد أنني قي حقيقة الأمر أضفت لها معان أخرى بمعالجتها أحيانا كمجال عام لكل العبارات و أحيانا كمجموعة من العبارات الخاصة ، و أحيانا أخرى كممارسة منظمة تفسر و تبرر العديد من العبارات " [2]، الأمر الذي يؤكده هذا الاضطراب في تحديد مفهوم الخطاب لدى فوكو؛ هو صعوبة وضع المصطلح تحت لواء مفهوم واحد، الأمر الذي جعل العديد من الباحثين – في نية تحديد مفهوم له ، مقابلته بمصطلحات أخرى عديدة : الكلام ، الملفوظ ، النص ، اللغة ، القصد ، المجتمع ... إلخ ؛ إذ أن الخطاب يعتمد على نقاط مرجعية تقع خارج نقاطه ، و داخله .

و هذا ما جعل ما يكل شورت(mecheal short) يذهب إلى أبعد من هذا . بقوله: "الخطاب اتصال لغوي ، يعتبر صفقة بين المتكلم و المستمع ، نشاطا متبادلا بينهما ، و تتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي؛ "[3] فالخطاب تجربة دينامية تساهم فيها أطراف متعددة عن طريق التفاعل، من أجل تحديد

الأدوار : مؤلـــــــــــــــــــف ، خطـــــــــــــــــــاب ، قـــــــــــــــــــارئ ، (مستمع) ؛ هذا الأخير الذي يسعى دائما – إلى تحليل الخطاب من أجل الوصول به إلى أقصى حد ممكن من المقروئية وقوفا على كل الرؤى و البنى، التي ساهمت في هذا النتاج الفكري / التواصلي المتنوع : (دين ، تراث ، اقتصاد ، مجتمع ، قيم ، مذاهب ن مبادئ ، أبعاد ... الخ) .

ب – **التحليل** : و يعني لغة – الفتح – جاء في لسان العرب " حل العقدة يحلها حلا : فتحها و نقضها فانحلت "[4] أي فككها ؛ فالتحليل يعني التفكيك ؛ تفكيك الشيء إلى مكونات جزئية ، تتيح لنا معرفة بنياته الداخليـــــــــــــــــــــــــــــــــــة (الصـــــــــــــــــــــــــــــــــــغرى و الكبرى) ، و الخارجية ، و بنية التفاعل فيما بينهم ، يقول صامويل باتلر (samewal . bateler) :" يجب أن ندرس كل شيء في ذاته قدر الإمكان ، و أن ندرسه – كذلك – من حيث علاقته ؛ فإذا حاولنا النظر إليه في ذاته مطلقا ، و بقطع النظر عن علاقته ، فإننا سنجد أنفسنا شيئا فشيئا قد استنقذناه فهما و دراسة ، و إذا حاولنا النظر إليه من خلال علاقاته فقط ، فسنكشف أنه لا توجد زاوية في هذا الكون إلا و قد احتل مكانه فيها " [5].

و التحليل مصطلح جامع يستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة ، بإجرائه عملية اسقاطية على ما يسمى الخطاب ؛ إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك (شكلا و دلالة) ، المكتوب و المسموع إلى بنيات جزئية فاعلة و متفاعلة : داخلية و خارجية ، من أجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية و الخلفية و الأطر النظرية للخطاب) ، التي ساهمت في تشكله، بمعرفة : مضامينه - محتوياته – غاياته – معاييره – فضائه – بنياته – جنسه .... الخ، ليتحقق التحليل؛ الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك و التعقيد، تتطلب من أجل التحكم فيها ، معرفة موسوعية عميقة في التخصص تحوفها معارف رافده أخرى ، من جهة ؛ و التحكم في ممارسة بعض المصطلحات التي ، يقودنا إليها " التحليل " – كمصطلح جامع –من جهة أخرى، منها:

- **1- القراءة**: أصبحت القراءة في الدرس المعاصر، فعل معقد مغالي في التشابك. و في اللغة يقال : " قرأت أي صرت قارئا ناسكا . تقرأ : تفقه : قرأت : تفقهت " [6] ؛ فالقارئ لم يعد مجرد مستهلك للنص ، إنه المنتج ، كذلك ؛ يعمل على إخراج هذا النص ، ذا الطقوس ، المتباينة و المتضامنة و المتفاعلة: الفنية الجمالية ، النفسية ، الاجتماعية ، السياسية ، الروحية ... الخ إلى عالم الممكن.

- و على هذا النحو ينبثق تركيب النص و معناه من وصف القارئ و فعاليته ، لا سيما في النصوص التي تتميز بالعمق والتعقيد في الشكل و المعنى ، بوصفها تبديدا و نشرا لمتجاورات لا يتأتي تحليلها إلا بوعي وإدراك؛ إذ تترك الارتباطات الباطنة لخيال القارئ، ومن خلال التداعيات والارتباطات ، يركب

كل قارئ نصا مختلفا عن الآخر[7]؛ فبذلك انفتحت الخطابات على الاختلاف و المغايرة ، لأن الخطاب فضاء و ثقوب و مساحة مفتوحة ، و قراءته تتيح لقارئه الولوج إلى عالمه ، و التجريب في حقله و التنزه في منعرجاته ، و التعرف إلى تضاريسه ، واختبار موقع ما على خارطته ، و إذا كان النص يحتمل أكثر من قراءة ، فكل قراءة منطق نفوذها داخل النص ، ولكل قارئ إستراتيجيته الخاصة وراء قراءته ، ، فالقراءة تسمح بالاختيار و الترحال و الاغتراب [8] طبقا لما يسعى القارئ إلى تحقيقه في لحظات الكشف و الرؤيا، و الخطاب ليس مساحة مسطحة تشف عن معناها ، أو عمقا يختبئ فيه المعنى ، و إنما هو حيز تتعدد سطوحه ، و عمق لا قرار له ، و لا قرار فيه ، يحاول القارئ –باعتباره الوارث الشرعي له ، تفسيره و تشكيله في وعيه وفق مرجعياته ورؤاه ، و القراءة هي أول الفهم ، و الفهم" إنتاج المعنى " هذا الذي نجده تموضع بين معنى الكاتب ، و المعنى المسبق للقارئ .

1- **الشرح:** و هو الكشف، يقال شرح فلان أمره أي أوضحه ، وشرح مسألة مشكلة : بينها ، و شرح الشيء: فتحه وبينه و كشفه ... وشرحت الغامض إذا فسرته[9]؛ فممارسة الشرح تعد وهي ذاتها عملية التفسير والتأويل رغم التفاوت .

2- **التفسير** : و هو الإبانة و الكشف و لفظ التفسير بمعنى الإيضاح و التبيين و التفصيل ، و في الاصطلاح ارتبط لفظ التفسير بشرح القرآن الكريم و بيان إعجازه ، و أحكامه و معرفة أسباب نزول آياته ، و ترتيب سروه ؛ باعتباره (التفسير) عملا للفكر ، يقوم على فك شفرة المعنى المحتجب بالظاهرة ، و حيثما يتعدد المعنى يوجد التفسير، الذي يجعل هذه المعاني المتعددة تتجلى و تتكشف ؛ [10] لأن اللغة ليست مجرد مرآة تعكس الفكر ، أو وعاء يحمل المعاني ، بل إنها الفكر و المعنى متجليين في وحدة التضايف ، فاللغة في حقيقتها – تعبير عن اتساق الفكر .

والتفسير ضرورة من ضرورات النص ؛ إذ يقتضي استكناه المعاني الذي يحويها النص في صلبه ، هذا المعنى الذي يعتبر حياة النص كما تصورها المبدع ، و يجلوها المفسر لأن التفسير ، و إن كان وضعا للنص يعمل على إكساب النص قيمة أدبية يتضمنها و لا يفصح عنها ، إلا التفسير في حالة ممارسته على النص ، و لا يتحقق التفسير إلا بعد الفهم ؛ فليس التفسير – في هذه الحالة –سوى إعادة إنتاج لما في النص [11] و النص يستدعي التفسير ، كما يستحضر التفسير النص ؛ فلا يمكن للتفسير أن يوجد على بياض ، إنه يحضر بحضور النص ، و لا مكانه للنص إلا متى تأكد التفسير ، و يرى البعض أن لا فرق بين الشرح و التفسير ؛ باعتبار أن مقصدية الشرح هي ذاتها مقصدية التفسير .

4- التأويل : الأول هو الرجوع ، و أوله و تأوله : فسره . جاء في لسان العرب التأول و التأويل و تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ، و لا يصح إلا ببيان غير لفظه ، و أولته تفسير ما يؤول إليه الشيء ، و قد أولته تأويلا بمعنى ، و التأويل المرجع و المصير . و تأوله (أوله) : فسره و التأويل و المعنى و

التفسير واحد [12] ، و يرى البعض أن التفسير يستهدف المعنى في وضوحه و جلائه و التأويل اجتهاد غايته إمداد القارئ بأكثر من معنى ، و في حدود معطيات النص ، [13] ، هذا ما يجعل التأويل – في الدرس المعاصر –قائما على إعادة ما نملكه من رصيد معلوماتي و بلورته في سياق التجربة لإعطاء سلطة النص صفة التحرر من قيود خلق الصور ، التي تحفز الانعكاس الإدراكي لمعنى التأويل. إنه الأمر الذي يسعى إليه القارئ الحذق ؛ ذا الفهم العالي و الحس اللغوي المدرب، النابع من واقع الكشف بعد الفهم والإدراك .

أمام كل هذا لا يسعني إلا أن نتساءل : في الخطاب ما الذي نسعى إلى فهمه و نحن نقرأ ؟ هل نفهم الموضوع أم نحاول أن نفهم أنفسنا ؟ و هل نفهم الخطاب الذي نقرأ أم نفهم مجهولا ما متعاليا نصل إليه بالقراءة الحذقة و التفسير و التأويل ؟ هل بالقراءة و الشرح و التفسير و التأويل نقدم تحليلا ؟ إذن ما هو تحليل الخطاب ؟

يحاول جوليان براون (Jullian Brown) و جورج يول (George yule) ، وضع تصور للكيفية التي يستعمل بها الناس اللغة للتواصل –في إطار تقديم نظرية لـ " تحليل الخطاب "- إذ يرونه مجالا يشمل مجالات عديدة من الأنشطة ؛ فتحليل الخطاب – عندهما – يستعمل للحديث عن أنشطة تقع على خط التماس بين دراسات مختلفة . كاللسانيات الاجتماعية و اللسانيات النفسية ، و اللسانيات الفلسفية ، و اللسانيات الإحصائية ، و المهتمون بمثل هذه الدراسات المختلفة يركزون بحثهم جميعا على جوانب شتى في الخطاب .

و يعمدا بعد ذلك إلى تطبيق هذا التوسيع بقولهما : " أما نحن فمقاربتنا لتحليل الخطاب في هذا الكتاب مقاربة لسانية بالدرجة الأولى، فنحن نعالج فيه كيفية استعمال الناس اللغة أداة للتواصل ، و كيف يؤلف المتكلم رسائل لغوية يوجهها إلى المتلقي ، فيقوم هذا بمعالجتها لغويا على نحو خاص لتفسيرها " [14] في إطار منهج تحليل الخطاب، لذلك توجب عليهم طرق باب التحليل في كل علم و إبراز اهتماماته المحورية :

- فتحليل الخطاب عند علماء اللسانيات الاجتماعية يعني الاهتمام ببنية التفاعل الاجتماعي – خاصة – و المتحققة بوسائل أهمها الحوار .

- و علماء اللسانيات النفسية يتجه اهتمامهم – في تحليل الخطاب – إلى قضايا تتصل باللغة و الإدراك .

– و يهتم محللو الخطاب من فلاسفة اللغة، بالعلاقات و الدلالة القائمة بين أزواج من الجمل ، و خصائصها النظمية ،

و العلاقات بين الجمل و الواقع ؛ و ذلك لمعرفة ما إذا كانت الجمل أداة لتقرير أحكام يمكن تقييمها بناء

على سلم من معايير الصدق و الكذب،فهم يدرسون تلك العلاقات بين مجموعات من الجمل التي يستعملها متكلمون نموذجين ، لمخاطبة متلقين نموذجيين ، في سياقات نموذجية قليلة التحديد . [15]

- وعلماء اللسانيات الإحصائية ممن يعمل في مجال تحليل الخطاب ، يهتمون بمعالجة نماذج خطابية استعملت في سياقات محددة جدا .

فنظرية براون و يول في" تحليل الخطاب " نظرية فتحت الأبواب على كم هائل من التعريفات لمجال يسمى " تحليل الخطاب " لم يستطع الكتاب الحامل لاسم هذا المجال الواسع ، تحديدها و التقليص منها . و لا حتى توضيحها ، بشكل يسهل فهمها. الأمر الذي دعا الباحثان إلى إدراج إشارات كان لا بد منها . في آخر عرضهما لهذه النظرية :

أولها : الاستفادة من بعض الجهود في مجال تحليل الخطاب ، التي أضاءت لهما الجوانب في كيفية معالجة الخطاب ، و استعمال اللغة فيه ، باعتبار إنهما قد حددا مجال عملهما . ألا و هو المجال اللساني في التواصل .

ثانيها : أن كل الأساليب المقترحة –من قبلهما –قد فتحت في المقابل عددا أكبر من المساحات المظلمة في نطاق الفهم ؛ لأن الخطاب " ظاهرة معرفية اجتماعية مركبة " [16] و المعرفة تمس كل ماله علاقة بالإنسان و الوعي و الإدراك . و المجتمع أرضية خصبة متنوع التضاريس و المظاهر.

و آخرها : أن التركيز في دراستهما . كان على قضايا لها صلة بالإحالة ، و قضايا متصلة بالتماسك المعنــــــوي ،

و التناسب و استعمال اللغة ، و هذا يعني عدم التطرق إلى عدة قضايا أخرى ، تحظى بعناية الدارسين المهتمين بالتفاعل القائم بين علمي التركيب/ الدلالة ، قضايا : الهيئة ، الزمن ، صيغة القول ، تحديد الكمية ، النفي ، الوصف عن طريق الظروف ، و قضايا المجاز و فهم الخطاب ... الخ .

و هي إشارات زادت من زعزعة استيعاب مفهوم " تحليل الخطاب " ، لكنها أبعدت المؤلفين من مطب حصر مجال تحليل الخطاب في استعمال واحد . و جعله مساويا لأي مجال آخر . و ذات الأمر توصل إليــــه باتريــــك شــــارودو

(patrich charaudeau) في قوله : " فيما يتعلق بمجال تحليل الخطاب ، الذي أوجد به الآن ، فاني أرى كل شيء جدير بالدراسة ؛ لقد عنيت بالنصوص المكتوبة بخاصة في المرحلة الأولى . بعد ذلك اهتمت ولازال بظواهر التخاطب بين الناس ، و هذا بالموازاة مع الاهتمام بالخطابات المكتوبة ، الآن

أعنى بتحديد الأدوار اللغوية (rôles langagiers) التي هي نقطة التمفصل بين النفساني –الاجتماعي و اللغة " [17].

في حين ذهب الكثيرون إلى جعل تحليل الخطاب يتساوى مع مجال آخر أحيانا، وإعطائه تعريفا غير محدود،من بينهم تعريف هاتش (hatch) : " تحليل الخطاب هو دراسة لغة التواصل سواء أكانت محكية أم مكتوبة " [18]

و السؤال ما طبيعة الدراسة ؟ هل تركيزنا على القارئ . النص ،أم المؤلف ؟

و يعرفه سيتوبس (stubbs) على أنه " التحليل اللغوي للخطاب سواء أكان محكيا أو مكتوبا ، و يهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النص مهما كان حجمه ، و يهتم بدراسة اللغة في سياقها " [19] ، أي السياق الذي تستخدم فيه على سعة اختلافه ؛ فتحليل الخطاب هو أحد مستويات الدرس اللساني ، الذي يحاول تحليل الظاهرة اللسانية على مستوى يتجاوز مستوى الجملة أو النطق ، ليشمل النص المكتوب مهما بلغ طوله و اختلف نوعه، و التخاطب الشفوي بين الناس بأشكاله المختلفة: مكالمة هاتفية ، حديث أفراد الأسرة في مواقف الحياة اليومية ، أو الحديث الذي يدور بين الغرباء ، أو صديقان التقيا بعد طول غياب ... الخ . من التفاعلات اللفظية التي تحدث بين البشر.

و يجعل ليفنسن (levinson) من تحليل الخطاب دراسة للغة من منظور وظيفي، من خلال " دراسة التركيب اللغوي بالإشارة إلى عوامل غير لغوية كالنص و المتكلم الذي يستخدم اللغة و السياق الذي تستخدم فيه " [20].

و نشير في آخر الأمر ، أن هذه التعاريف و الآراء – على اختلافها- من كتب نسبت إلى مجال تحليل الخطاب بقوة التسمية و العنوان في الدرس الغربي . تجعلنا نسلم بشرعية هذا العلم ، أو هذا المجال ، الذي من حقه أن يجمع مواده من كل الأشياء التي تستخدم بغرض الخطاب أولا ، و التحليل بأنواعه ثانيا . و لو كان لها بجانب ذلك غرض آخر أو أمر أسبق ؛ لأن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله ، و اللغة آداة تواصل وتعبير لكل ما هو في الحياة بتشعبها و أمورها المختلفة المتضاربة و المتفاعلة .

ويركز مجال تحليل الخطاب عند دافيد كريستال(David crystal) "على بنى اللغة المحكية المستعملة في ظروف طبيعته ، كما نجد ذلك في بعض " الخطابات " كالمحادثات و الاستجوابات و التعاليق

و الخطب ، بينما يركز مجال تحليل النص (texte analysis) على بنى اللغة المكتوبة ، و من الأمثلة على ذلك المقالات و اللافتات و إشارات المرور و فصول الكتب ، لكن ليس هذا التمييز تمييزا جليا وواضحا ، فقد كان لهذين المصطلحين العديد من الاستعمالات الأخرى

و بصفة خاصة قد يستعمل كل من الخطاب و النص بمعنى أوسع بكثير ليشمل جميع الوحدات اللغوية التي لها وظيفة اتصالية محددة سواء أكانت تلك الوحدات محكية أو مكتوبة ؛ فمن العلماء من يتحدث عن الخطاب المحكي أو المكتوب " و منهم من يتحدث عن " النص المحكي أو المكتوب " [21] و ذلك كمحاولة لتمييز الخطاب عن مصطلح تحليل النص و هذا ما جعل هوثرن (houthren) يعلق على التمييز الذي قدمه مايكل لستابس (1983) (Stubbs--micheal) عين خطاب النص : " يعالج مايكل ستابس مفهومي النص أو الخطاب و كأنهما مترادفات . لكنه يلاحظ أنه في استعمالات أخرى قد يكون النص مكتوبا بينما الخطاب محكيا،

و قد لا يكون النص تفاعليا بينما يكون الخطاب كذلك ..... و قد يكون النص طويلا أو قصيرا لكن الخطاب يوحي بطول معين ، و يتميز النص باستخدام في الشكل و الصيغة بينما يطبع الخطاب استخدام أعمق من حيث الدلالة و المعنى . و في الأخير يلاحظ ستابس أن هناك من المنظرين من يفرقون بين مكون اللغة النظري المجرد و التحقيق النفعي لهذا المكون ، و لو أنهم لا يتفقون أيهما يمثله مفهوم النص [22]